



برنامج وذكّر

الدكتور محمد خير الشعال

(الحلقة العاشرة)

((لا تظالموا))

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ها هي حلقة جديدة في برنامج (وذكّر)، حديث اليوم عن مادة قرآنية حياتية، وجدتها تتكرر في القرآن الكريم مع عواقبها السيئة في مائتان وتسع وثمانين موضعاً، ووجدتها في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب التسعة تتكرر سبعمئة مرة، هذه المادة سلبية بمعنى أنك مدعو أن تتخلى عنها، الإسلام تخلية وتخليّة، أمور تتخلى عنها وأمور تتحلى بها، الإسلام تروك وأفعل، أمور تتركها وأمور تفعلها، هذه المتروكات وهذه التخلية أمور سلبية، وهذه المأمورات وهذه الأمور التي تتحلى بها هي أمور إيجابية، مادة اليوم مادة سلبية، عنوان حلقة اليوم: ((لا تظالموا))

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، الظلم: مجاوزة الحق، أشرف حديث عند الدمشقيين قول الله تعالى في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِيَ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا)) [مسلم]، أصعب شيء يا أيها الإخوة ويا أيتها الأخوات أن يلقي الله به أحداً هو ظلمٌ علق في رقبته لعبد من العبيد، حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة، بالإمكان أن يسامحك الله فغفوه واسع وفضله واسع وجميله قديم، لكن حقوق العباد مبنية على المشاححة، فظلمهم صعب.

ورد في الحديث: ((أتدرون من المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يعطى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)) [ابن حبان]

إني قرأت أيها الإخوة في هذه المواطن الكثيرة في القرآن الكريم التي تتحدث عن الظلم وعواقبها السيئة في مائتان وتسع وثمانون آية سنناً أربعة لحضرة الله تعالى مع الظلم والظالمين.

السنة الأولى: لا يفلح الظالمون:

مائة بالمائة الظالم لا يفلح، قد يُسر اليوم لكنه سيندم غداً، قد يفوز اليوم لكنه سيخسر غداً، قد يعملوا اليوم لكنه سيهبط غداً، أربع مرات في القرآن الكريم تكرر هذا القول: ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ، سيدنا يوسف يقول: ﴿... قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:23]، وهكذا تكررت في القرآن الكريم، كان هناك شاب يعمل عند صاحب معمل، الشاب مجتهد وهو مهندس وجاد في العمل، وقع له وهو يريد الزواج أن يتزوج ابنة صاحب المعمل، أرسل أمه فقرعت الباب على بيت أهل صاحب المعمل، استأذنت بالدخول لترى إن كانت عندهم فتاة للخطبة، وبالفعل كان عنده فتاة للخطبة، سألوها من أنت، من ابنك، ماذا يعمل، فعلموا أنه يعمل عند والد هذه الفتاة، أخبرت النساء الزوج بأن فلاناً المهندس الذي يعمل عندك جاء ليخطب ابنتك، لم يتق الله عز وجل صاحب هذا المعمل، في اليوم الثاني استدعى المهندس وقال له بنظرة ازدراء: أنت الذي أرسلت أمك لتخطب ابنتي؟ أطرق الشاب وقال: نعم، قال: أما علمت إلى بيت من أنت ذهبت، يا ولدي لا ترفع رأسك عالياً باتجاه الأعلى حتى لا يُكسر، لقد كُسر بخاطر هذا الشاب، استأذن من الرجل بالانصراف واعتذر ومضى، لكن في داخله ألماً شديداً اعتصره من الداخل لأن الرجل قد كسر بخاطره، هذا ظلم أيها الإخوة ورب العالمين لا يرضى أن يشيع ظلم في العباد، تمر الأيام وهذا الشاب المهندس يترك هذا المعمل ليبحث في عمل آخر ويتزوج زوجة صالحة خيرة ويعمل في عمل آخر ويبارك الله تعالى له في أعماله وفي ماله وفي أرزاقه ما دامت أخلاقه عالية ومهنته وحرفته جيدة وهو متقن لعمله وإذا به يُرزق مالا يفتح به معملاً ينطلق فيه في حياته وسنوات وسنوات وإذا بصاحب المعمل القديم تدور عليه الدوائر وينكسر بأمور ماله ويفقد ثروته ويبحث عن عمل، وهو يبحث عن عمل في جنبات المدينة يدخل إلى معمل هذا الشاب المهندس ويدخل مستأذناً على المدير ليشاهد هذا الشاب هو المدير وراء المكتب ويقف هذا الرجل الذي كان غنياً وثرانياً في السابق مطرق الرأس أمام هذا الشاب ليقول له: أتأذن لي أن أعمل عندك؟ ﴿لا يفلح الظالمون﴾ ، من ظلم سينال عاقبة ظلمه في الدنيا قبل

الآخرة.

السنة الثانية: لحضرة الله تعالى في الظلم والظالمين هي: هلاك الأمة بظلمها:

إذا ظلمت الأمة فإن الله عز وجل يهلكها، **قال الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام : 45]**، **وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [يونس: 13]**

هل جاءكم نبأ بركان زيزوف؟ في إيطاليا مدينة تسمى كانت بومبي، بومبي هذه مدينة عصت الله عز وجل معصية شاعت بها الفواحش، كانت تتباهى بالمصارعات فيتصارع فيها العديد، الرجال مع الرجال والنساء مع النساء والنساء مع الرجال والناس مع الوحوش، وكان لا يخرج من حلبة المصارعة إلا أحد الطرفين والآخر يخرج قتيلاً، وشاع فيها أيضاً احتقار العبيد وازدراء هؤلاء العبيد، طغت وبغت وكثر الظلم فيها وتظالم الناس، وفي ليلة ليلاء ثار بركان زيزوف فجعل عالي هذه المدينة سافلها، وأوقف الناس وحجرهم في مكائهم، هذه أسرة تأكل تصلبت حجارة، وهذه امرأة تحدث رجلاً تصلبت حجارة، وهذا رجل يرتكب معصية صار حجراً، وفي مطلع الألفية وفي نهاية الألفية الماضية انكشف الرماد البركاني وانكشفت الآثار لتظهر لنا مدينة بومبي كيف تحجرت على ما هي عليه، **قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس : 29]**.

السنة الثالثة لله عز وجل مع الظلم والظالمين: تبقى الدول مع الكفر ولا تبقى مع

الظلم:

نعم من الممكن أن تبقى الدولة وهي كافرة إذا كانت عادلة وإذا كان الخير فيها شائعاً، لكن إذا ظلمت وبغت وانتشر الظلم في أسقاعها وأرجائها فإن الهلاك سيحقيق بها، **قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود : 11]** والظلم هنا معناه الشرك، وما كان ربك ليهلك القرى بالشرك وأهلها مصلحون، ما دام أهل مصلحون لا يهلكها الله، فإذا بغا بعضهم على بعض وتظالموا أهلكها الله تعالى.

السنة الرابعة والأخيرة لله تعالى في الظلم والظالمين: السنة تقول : **يمهل الله الظالم ولا يهمله:**

مستحيل أن يهمل الله تعالى الظالم، يحيى البرمكي كان أميراً في أثناء الدولة العباسية وفي ليلة وضحاها صار يحيى داخل السجن، هو وزوجته وحاشيته ومن كان يخدمه، قالت له مولاة له: يا سيدي ما هذا، أمن عز الملك إلى ذل السجن؟ قال: لعلها دعوة مظلوم، سرت بليلٍ فنمت عنها ولم ينم الله عنها، ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غدو في نعمة زمناً والدهر ريان غدا
سكت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

هذا حديث أيها الإخوة والأخوات عن الظلم والظالمين، لا يفلح الظالمون، سنة الله في الظلم والظالمين:

أولها : لا يفلح الظالمون، **والثاني:** هلاك الأمة بظلمها، **والثالث:** تبقى الدول مع الكفر ولا تبقى مع الظلم، **والرابع والأخير:** يمهّل الله الظالم ولا يهمله.

نسأل الله عز وجل أن لا يجعل لأحد من العباد عندنا مظلمة ، مسرور كنت بالاجتماع بكم أيها الإخوة والأخوات في هذه الحلقة من برنامج وذكر ألقاكم إن شاء الله في حلقة قادمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.